مجلة العلوم وافاق المعارف

Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

تجليات الشعر ووظائفه في المقامة العربية الحديثة، مقامات اليازجي أنموذجا.

Manifestations of poetry and its functions in the modern Arabic Maqama, Maqamat al-Yaziji as a model.

إسماعيل المركعي*

Ismail Al-Markai

الأكاديمية الجهوية لمهن التربية والتعليم، (المغرب)، ismail.elmarkaiz@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 2022/12/11	تاريخ القبول: 2022/01/13	تاريخ النشر: 2022/04/01

* إسماعيل المركعي Ismail Al-Markai

الملخص:

يعالج هذا المقال قضـــية حضـــور الشـــعر في المقامة العربية الحديثة، ويحاول إبراز تجلياته في نصوص مقامات الأديب اللبناني ناصيف اليازجي، التي لا تخلو من التوظيفات الشعرية. كما يحاول أن يكشف عن الوظائف التي يؤديها الشعر داخل جنس المقامة، فاستحضار النصوص الشعرية من قبل اليازجي تجاوز إضـفاء طابع التخييل والإمتاع إلى طابع التداول والإقناع، فكان الهدف من إيراد هذا الشعر هدفا إصلاحيا وتعليميا، خاصة وأن المجتمع العربي كان يعيش في ظل التلاقح الثقافي مع المجتمع الغربي.

الكلمات المفتاحية: المقامة، الشعر، الوظيفة.

Abstract :

This article deals with the issue of the presence of poetry in the modern Arabic maqama, and attempts to highlight its manifestations in the maqamat texts of the Lebanese writer Nassif al-Yazji, which are not devoid of poetic employment. It also attempts to reveal the functions performed by poetry within the maqama genre, so that al-Yazji's evocation of poetic texts went beyond the imagination and entertainment of the deliberative and persuasive character of Western society.

Keywords Maqamah**;** poetry**;** role; Nassif al-Yazji; maqamat

مقدّمة:

نالت المقامة قدرا واسعا من الشهرة والانتشار قديما وحديثا، حيث شكلت نمطا من الكتابة عند مجموعة من الأدباء، الذين حاولوا عبرها تناول موضوعات شتى، محاولين المزج بين جنسي النثر والشعر؛ وسنقف هنا على حضور هذا الأخير في المقامات الحديثة عند اللبناني ناصيف اليازجي في كتابه الموسوم بـ " مجمع البحرين"، وذلك بإبراز تجليات الشعر المبثوث في نصوص مقاماته، والكشف عن الوظائف التي يؤديها داخل المقامة، باعتباره عنصرا مكمّلا للعملية السردية، يساهم في نموّ الأحداث وتطوّرها دون الإخلال بالجنس العام الذي يؤطر نصوص المقامة العربية والمتمثل في جنس النثر.

المبحث الأول: تجليات الشعر في مقامات اليازجي

لابد من أن نشير، في البداية، إلى بعض الآثار الإبداعية التي خلفها اليازجي في مجال الشعر1؛ فقد ألف الرجل مجموعة من الدواوين الشعرية،2 منها (نبذة من ديوان الشيخ ناصيف اليازجي)، و(نفحة الريحان وثالث القمرين).

وبالعودة للشعر المبثوث في "مجمع البحرين"، نجد اليازجي سار على نفس منوال الشعراء القدامى من حيث شكل القصيدة، باعتماد نظام الشطرين والقافية الموحدة في نظم شعره. وهو دائما ما يورد أبياتا من الشعر، سواء كانت قليلة أو كثيرة قد تصل إلى قصيدة كاملة في بعض الأحيان.

وبتتبع النماذج الشعرية الواردة في كتاب "مجمع البحرين"، نجدها من نظم اليازجي نفسه، دون أن يستحضر شعر الشعراء الآخرين بمختلف عصورهم؛ نظرا لمكانته بين شعراء عصره؛ فهذا الأمير الشهباني بشير الكبير جعله من أقرب الشعراء عنده " فإنه قرّب الشعراء والكتّاب، وأجازهم. وكانت المناظرات بينهم تجري بين حضرته، فتستحثّ قرائحهم للنظم والنثر. ومن شعرائه بطرس كرامة، ونقولا الترك، والشيخ ناصيف اليازجي"3. فدائما ما كان هو نفسه الشاعر في مقاماته، بحيث كان يورد من شعره ما يجده ملائما للسياق المقامي، ومناسبا لموضوع المقامة، على لسان البطل ميمون بن خزام، الذي يبدع تحفا بلاغية في قالب شعري، أو على لسان ابنته ليلى وغلامه رجب. كقوله في "المقامة الحلبية" مثلا:

يا هَلْ تُرى أَيْنَ سُهَيْلٌ يَطْلُعُ؟ يا لَيْتَهُ كانَ يَـرى وَيَسْمَـــعُ!
يَرى الْفَـــتى مُهَرْوِلاً يَنْدَفِعُ تَكـــادُ تَذْرِيهِ الرِّياحُ الأَربـــعُ
أَعْـطانِيَ الْبرذَونَ وَهُوَ يَطْمَعُ في وَصْلِ لَيْلى، لا هناهُ الْمَضْجَعُ!
سَبَقْـــتُهُ عَلَيْهِ فَهُوَ أَسْرَعُ لَكِنَّهُ بِالْماءِ لَيْسَ يَقْنَـــعُ
فَقُمْـتُ أَبْتَغي لَهُ ما يَشْبَعُ لَكِنْ بِدونِ الْمالِ ماذا أَصْنَـــعُ؟
وَإِنْ يَكُنْ نالَ الْفَتى ما يَجْزَعُ مِـنْهُ فَقَـــدْ نالَ بِهِ ما يَـرْدَعُ

وَالنُّصْحُ مِنْ وَصْلِ الْبَناتِ أَنْفَعُ4

فهذه الأبيات الشعرية من نظم الشيخ اليازجي نفسه؛ فيدل هذا على قدرته على نظم الشعر؛ فهو بذلك يرسم صورة اليازجي الشاعر في مقاماته.

حظي الشعر بحيز مهم في كتاب "مجمع البحرين"؛ حيث يكثر اليازجي من التوظيف الشعري تعبيرا عن موضوع

المقامة؛ حيث دائما ما يلجأ إليه كتقنية ضرورية لسرد أحداث المقامة ونموّ وقائعها؛ فنجده يختار من الشعر ما يناسب سياق حديثه، وموضوع مقامته. وهذا الشعر كلّه يأتي في وسط المقامة؛ كما ستوضح هذه الأمثلة:

يقول في المقامة "البدوية":

إنّي ميمونُ بَني الْخِـــزامِ وَهَذَهِ لَيْلى ابْنَتي أَمامـــي
نَعَم وَهَذا رَجَبٌ غُلامي مَنْ رامَ أَنْ يَدْخُلَ في ذِمامي

يَأْمَنُ مِنْ بَوائِقِ الْأَيّامِ5

إذ يقف اليازجي؛ من خلال هذه الأبيات، عند التعرف على بعض شخصيات مقامته، ثم يتمم حديثه بقوله:

أَنا الْخُزامِيُّ سَليلُ الْعَـــرَبِ أَذْهَبُ بَيْنَ النّاسِ كُلَّ مَذْهَـبِ
وأُلبِسُ الْجِدَّ ثِيابَ اللَّعِـبِ وَأَسْتَقي مِنْ كُلِّ بَرقٍ خُلَّـــبِ
وَأَتَّقي بِاللُّطْفِ كُلَّ مِخْلَبِ وَأَلْتَقي الرُّمْحَ بِلَدْنِ الْقَصَـــبِ
وَلا أُبالي بِالْفَتى الْمُجَـــرَّبِ لَوْ أَنَّهُ عَمْرو بْنُ مَعْدي كَـرِبِ
عَلَيَّ دِرْعٌ مِنْ نَسيجِ الْأَدَبِ تَكِلُّ عَنْها ماضِياتُ الْقُضُـبِ
وَلي لِسانٌ مِنْ بَقايا الْحِقـــبِ يَقْنِصُ بِالْمَكْرِ أُسودَ الْهِضَـــبِ
وَالصِّدْقُ، إِنْ أَلْقاكَ تَحْتَ الْعَطَبِ لا خَيْرَ فيهِ فَاعْتَصِمْ بِالْكَـذِبِ

بِمِثْلِ هَذا كانَ يوصيني أَبي6

ففي هذه الأبيات يبرز اليازجي خصال الخزامي، الذي ينتمي إلى أهل البدو،؛ الذين يعرفون بصفات كثيرة، أبرزها؛ إكرام الضيف، والاطمئنان من نوائب الدهر وصروفها. كما تكشف أيضا عن بعض الصفات التي يميز العرب؛ كالافتخار بالنفس والاعتزاز بها، والتحلي بمكارم الأخلاق، وتبرز كذلك بعض المحاسن التي يتفرد العرب بها عن غيرهم كالجدّ واللطف والأدب والصدق.

ويقول في "المقامة الكوفية":

اَلْعِلْـمُ خَيْرٌ مِنْ صَلاةِ النّافِلَه بِهِ إِلى اللهِ الْعِبادُ واصِلَـــــــه
فَاحْرِصْ عَلَيْهِ وَالْتَقِطْ مَسائِلَه وَدَعْ كُنوزَ الْمالِ فَهِيَ باطِلَـــه
ولا تَبِعْ آجِلَةً بِعاجِـــــلَه وَلا تُضِعْ واصِلةً بِحاصِلَـــــــه
واعرِضْ عَنِ اللَّيْلَةِ نَحْوَ الْقابِلَه فَذاكَ مَشْرِبُ الثُّقاتِ الكامِلَـــه
وَلَيْسَ خَيْرٌ في النُّفوسِ الْعاقِلَه إِنْ غفَلَتْ عَنِ الْقُلوبِ الْغافِلَـــه

وَالنّاسُ إِنْ كانَتْ طَغاماً جاهِلَه فَما يَكونُ الْفَرْقُ يا ابْنَ الْفاعِلَه

بَيْنَ الرِّجالِ وَبِغالِ الْقافِلَه؟7

يدرك اليازجي في قيادة الناس، لذلك حاول أن يبرز في هذه الأبيات أهمية العلم، ويحث الناس على طلبه؛ فهو تنوير للعقول، وخمود للجهل. ويدعو بذلك إلى جعل العلم في مرتبة سامية لا تقارن بمال ولا جاه، فحاجة الناس إلى العلم لنشر الخير والسلام.

يقول في المقامة "المصرية":

قَدْ صَدَقَ الْغُلامُ في ما يَدَّعي، فَإِنَّه مُذْ أَشْهُرٍ لَمْ يَشْبَعِ!

مُزَمَّلٌ في السَّمَلِ المُرَقَّعِ، مُوَسَّدٌ فَوْقَ الْحَصى وَالْيَرْمَعِ

يَبيتُ طولَ لَيْلِهِ لَمْ يَهْجَعِ، يَدْعو إِلى اللهِ بِقَلْبٍ موجَعِ

لَكِنَّني شَيْخٌ شَديدُ الزَّمَعِ إِذا نَهَضْتُ بُكْرَةً مِنْ مَضْجَعي،

أَمْشي كَما تَمْشي ذَواتُ الْأَرْبَعِ ! قَدْ بِعْتُ حَتّى إِنَني لَمْ أَدَعِ

سِواهُ عِنْدي مِنْ جَميعِ السِّلَعِ، فَصِرْتُ كَالطِّفْلِ الصَّغيرِ الْمُرْضَعِ

لا زادَ في بَيْتي وَلا مالَ مَعي، فَإِنْ أَرَدْتُ بَيْعَهُ لَمْ يَقَعِ

لي في الْحَياةِ بَعْدَهُ مِنْ مَطْمَعِ، فَهُوَ أَنيسي في الْخَلاءِ الْبَلْقَعِ!

وَسَنَدي في عَثْرَةٍ أَوْ مَصْرَعِ، أَراهُ في حَديثِهِ كَالْأَصْمَعي

وَفي الدَّهاءِ كَقَصيرِ الْأَجْدَعِ، وَفي الْمَضاءِ مِثْلَ سَيْفٍ تُبَّعِ

يَقومُ بِالْأَمْرِ قِيامَ الْمُسْرِعِ، وَهُوَ إِذا وَلّى قَريبُ الْمَرْجِعِ

وَيَحْفَظُ الْوُدَّ بِلا تَصَنُّعِ كَحِفْظِهِ سَرائِرَ الْمُسْتَوْدَعِ

فَانْظُرْ إِلى ما نَحْنُ فيهِ وَاسْمَعِ8

فهي قصيدة يصور فيها اليازجي حالة بطله ميمون بن خزام وغلامه رجب، وما آلت إليه بسبب الفقر والجوع والاحتياج. كما يعرض من خلالها صفات الغلام الكثيرة؛ كالذكاء والدهاء والقوة والشّجاعة والسرعة في تنفيذ الأوامر وحفظ الودّ.

تكشف التوظيفات الشعرية في مقامات اليازجي قدرته على تضمين شعره، واستخدامه كبنية مكملة لسرد أحداث المقامة وتطوّرها. وهو في الغالب ما يأتي بالنصوص الشعرية في وسط المقامة كتقنية سردية يكسّر بها الملل الذي قد يلحقه النثر في نفوس المتلقي بسبب طوله وكثرته.

المبحث الثاني: وظائف الشعر عند اليازجي

ظهر الشعر عند اليازجي، في كثير من المواقع، لغرض وعظي، يروم النصح والإرشاد والإيصاء؛ مما جعل لهذا الشعر وظيفة وعظية، تهدي الإنسان إلى اتباع الحق، وسلك طريق الإصلاح والرشاد. إذ يقول:

واهاً لِمَنْ خافَ الْإِلَهَ وَاتَّقَـــى وَعافَ مُشترى الضلال بِالْهـُدى
وَظَلَّ يَنْهى نَفْسَهُ عَنِ الْهَـــوى إِنَّ إلى الرَّبِّ الْكَرِيمِ الْمُنْتَـــهى
وَلَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَـــعى نعمْ! وَإِنَّ سَعْيَهُ سَوف يُـــرى
ما هَذِهِ الدُّنْيا سِوى طَيْفِ كَرى فَانْتَبِهوا يا غافِلِينَ لِلسُّـــرى!
وشَمِّروا الذَّيْلَ وَبادِروا الْـــوَحى مِنْ قَبْلُ أَنْ يَدْعَوَكُمْ داعي الرّدى
واطَّرحوا كُلَّ نَعيمٍ وغِـــنـى وَاسْتَهْدِفوا لِوَقْعِ أَسْهُمِ البِـــلى
وَأَقْرِضوا اللهَ فَنِعْمَ مَنْ وَفـــى ما أَجْهَلَ النّاسَ وَأَذْهَلَ النُّـــهى
لَوْ أَنَّ هَذا الْمالُ في هَذا الْوَرى قالَ: أَلَسْتُ رَبَّكُمُ؟ قالوا: بَـــلى9

نحس، ونحن نقرأ هذه الأبيات من الشعر، أننا أمام قبس من القرآن الكريم، وإن بشكل تضميني، ومضمونها الحث على مكارم الأخلاق، والإعداد ليوم تخشع فيه الأبصار، حين لا ينفع لا جاه ولا مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

ويقول:

اَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْ صَلاةِ النّافِـــلَه بِهِ إِلى اللهِ الْعِبادُ واصِـــلَه
فَاحْرِصْ عَلَيْهِ وَالْتَقِطْ مَسائِـــلَه وَدعْ كُنوزَ الْمالِ فَهِيَ باطِـــلَه
وَلا تَبِعْ آجِلَةً بِعاجِـــــــلَه وَلا تُضِعْ واصِلةً بحاصِـــــلَه
وَاعْرِضْ عِنِ اللَّيْلَةِ نَحْوَ الْقابِـــلَه فذاكَ مَشْرَبُ الثُّقاتِ الْكامِلَه
وَلَيْسَ خَيْرٌ في النُّفوسِ الْعاقِـــلَه إِنْ غَفَلَتْ عَنِ الْقُلوبِ الغافِلَه
وَالناسُ إِنْ كانَتْ طَغاماً جاهِلَه فَما يَكونُ الْفَرْقُ يا ابْنَ الْفاعِلَه
بَيْنَ الرِّجالِ وَبِغالِ الْقافِلَه؟10

لقد كانت غاية اليازجي من خلال توظيف هذه الأبيات إرشاد الناس إلى اتخاذ العلم منهجا في الحياة، وطريقا لبلوغ الفلاح والصلاح، والتقرب إلى الله عز وجل، وذلك لما لمسه فيها من تأثير في حياة الناس؛ إذ به تعقل العقول، وتهتدي النفوس، وبه يحرص الإنسان على اتباع طريق الخير بتبصر ومعرفة.

ويقول:

يا مَنْ يَرى ما لا يُرى ولا يُرى وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفى في الْـوَرى
دَعَوْتُكَ اللَّهُمَّ إِذْ طالَ السُّرى وَمالَتِ الْأَعْناقُ مِنْ خَمْرِ الكَرى
يَسِّرْ لَنا رِزْقاً مِنَ الْعَرْشِ جَرى أَوْ فَاهِدِنا لِبابِ رِزْقٍ يُعْتَـرى
نَعْدُ إِلَيْهِ مِثْلَ عَدْوِ الشَّنْفَرى11

تتجلى وظيفة هذه الأبيات في الدعاء والتضرع إلى الله من أجل الحصول على الرزق؛ فاليازجي يتخذ من الشعر مطية في التعبير عن موضوع المقامة، وحث الناس على طلب الأرزاق من الخالق وحده.

ويقول:

إِنّي لَقَدْ جَرَّبْتُ أَخْلاقَ الْـوَرى حَتّى عَرَفْتُ ما بَدا وَما اخْتَـفى
كُلٌّ يَذُمُّ النّاسَ، فَالَّذي نَـجا مِنْ ذَمِّهِ يَدْخُلُ في ذَمِّ الْمَـلا
وَالْمَرْءُ مَطْبوعٌ عَلى الْبُخْـلِ إِذا جادَ فَجودُهُ عَنِ الْعَرْضِ فَـدى
يُرِيدُ أَنْ يَعْتَرِفَ الْبَـحْرَ وَلا يَتْرُكَ مِنْهُ قَطْرَةً تَـرْوي الظَّما
يَنْسى مَنِ الْمُحْسِنُ طوداً قَدْ رَسا وَلَيْسَ يَنْسى ذَرَّةً مِـمَّـنْ أَسا
وَلا يُحِبُّ غَيْرَ نَفْـسِهِ فَـما أَحَبَّهُ فَهُوَ إِلى النَّفْسِ انْتَـهى
يَعْرِفُ كُلَّ حالِهِ في ما مَـضى إِلّا الَّذي كانَ دنياً فَارْتَـقى
وَكُلُّ عِلْمٍ يَدْرِكُ الْمَرْسَ سِـوى عِرْفانُ قَدْرِ نَفْسِهِ كما اقْتَضـى
بِالْعَقْلِ وَالدّينِ لَهُ كُلُّ الرِّضـى أَمّا بِـمالِهِ وَجـاهِـهِ فَـلا
وَكُلَّما عَقْلُ الْفَتى قَلَّ اكْـتَفى بِهِ كَـما ظَـنَّ فَسُـرَّ وَازْدَهى
قَدْ طُبِعَ النّاسُ عَلى الظُّلْمِ! فَـما سُلِّمَ أَمْرٌ لِامْـرِئٍ إِلاَّ بَـغى!
يُؤْذي الْجَهولُ نَفْسَهُ، فَإِنْ جَـنى يَوْماً عَلَـيْكَ لا يُـلامُ بِالْأَذى
وَيَذخَرُ الشَّيْخُ لِدَهْرٍ، وَيَـرى بِعَيْنِهِ الْمَوتَ لَدى الْبابِ اسْتَـوى
يُنَعَّمُ الْبَعْضُ بِمالٍ يُخْـتَبـى وَبَعْضُهُم بِبَذْلِهِ في ما اشْتَـهى
مَنْ عاشَ بِالتَّقْتيرِ مِنْ ذَوي الْغِنى فَإِنَّهُ أَفْقَرُ مِنْ فَوْقِ الثَّـرى
كُلٌّ يَعُدُّ نَفْسَهُ نِعْمَ الْفَـتى فَمَنْ هُوَ اللَّئيمُ مِنّا يا تُـرى!
لَوْ عَرَفَ الْإِنْسانُ عَيْبَـهُ، لَـمّا رَأَيْتَ عَيْباً فيهِ، ما طالَ الْـمَـدى

وَكُلُّ عَيْبٍ كانَ مِنْ طَيِّ الْحَشى في الْمَرْءِ، يَنْمو فيهِ كُلَّما نَشا
لا يَشْعُرُ الْجاهِلُ بِالْجَهْلِ، كَما لا يَشْعُرُ السَّكْرانُ إِلّا إِنْ صَحا
لا يَعْرِفُ الصَّحيحُ قيمَةً لِما كانَ مِنَ الصِّحَّةِ حَتّى يُبْتَلى
لا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْفَتى إِلّا مَتى ماتَ، فَيُعْطى حَقَّهُ تَحْتَ الْبِلى
لَوْ كانَ كُلُّ يَعْرِفُ الْحَقَّ سِوى لَكانَ كُلُّ النّاسِ أَهْلاً لِلْقَضا
مَنْ قالَ :لا أَغْلِطُ في أَمْرٍ جَرى فَإِنَّها أَوَّلُ غَلْطَةٍ تُرى
وَقَلَّما أَبْصَرْتَ نِعْمَةً عَلى شَخْصٍ، وَلا تَقولُ: قَدْ ضاعَتْ هُنا
وَقَلَّما كانَ شُجاعاً في اللِّقا إِلّا عَزيزَ النَّفْسِ وَالْجودِ كَذا
وَكُلُّ ما في غَيْرِ مَثْواهُ ثَوى يَسْمُجُ في الْعَيْنِ وَيُؤْذي مَنْ رَأى
وَكُلُّ ما عَنْ مَنْهَجِ الطَّبْعِ الْتَوى تُنْكِرُهُ النَّفْسُ وَلَوْ نَفْعاً جَنى
وَكُلُّ مَنْ تاهَ دلالاً وَادَّعى مُسْتَكْبِراً، فَذاكَ ناقِصُ الْحَجى
وَكُلُّ مَنْ شابَ عَلى خُلُقٍ فَلا تَنْصَحْهُ، فَهْوَ لَيْسَ مِنَ أَهْلِ الْهُدى
وَكلُّ مَنْ لا خَيْرَ مِنْهُ يَرْتَجِ إِن عاشَ أَوْ ماتَ عَلى حَدٍّ سَواء12

هذه القصيدة مليئة بالحكم والوصايا، أوردها اليازجي في سياق الوصية التي أوصى بها الخزامي غلامه؛ فوظيفة هذه الأبيات تتجلى في هداية الناس، وإرشادهم إلى الاقتداء والعمل بالحكم المتضمّنة فيها، والتشبث بالقيم والوصايا التي عرضت فيها.. كل هذه الحكم والقيم، التي تتضمنها القصيدة، ما هي إلا موعظة من اليازجي للناس، وحثهم على التشبع بالقيم الأخلاقية الحميدة، وهجر القيم الفاسدة التي تؤدي بصاحبها إلى فعل الشر، والوقوع في الخطيئة.

ويقول:

الحمدُ لله الصَّمد حالَ السُّرورِ والْكَمَد
اللـه لا إِلهَ إِلاّ اللهُ مَوْلاكَ الْأَحَد
لا أُمَّ للـه وَلا والدَ لا ولا وَلَد
أَوَّلُ كُلِّ أَوَّلٍ أَصْلُ الْأُصولِ وَالْعُمَد
اَلْواسِعُ الآلاءِ وَالْ آراءِ عِلْماً وَالْمَدَد
اَلْحَوْلُ وَالطوْلُ لهُ لا دِرْعَ إِلاَّ ما سَرَد

كُلٌّ سِـــــواهُ هالِكٌ لا عَدَدٌ وَلا عُـــــدَد
صاحِ ادْعُ مَوْلاكَ لِما أوعَدَ وْاسْأَلْ ما وَعَد
وَاصْدَعْ رِداءَ اللَّهْوِ وَالْ مَكْرِ وَدَعْ سوءَ اللَّدَد
واسِـــلُ المُدامَ وَألْمَها وَارْمِ المِراءَ وَالْحَسَـــد
وَامْـــحُ رُسوماً ما لَها حَدٌّ وَلا لَها عَـــــدَد
وَسـامِحِ الْمَرْءَ سَها لَمّا رَماكَ أَمْ عَمَـــد
وَارْدَعْ هَـــواكَ كارِهاً ما ودَّ واعكسْ ما طرد
وَاعْلَمْ وَعَلِّمْ وَاطَّرِح أَحْـــكامَ عادٍ وأُدَد
وَدُرْ مَعَ الدَّهْرِ كَما دارَ ولَوْ طالَ الْأَمَـــد
وَسِرْ مَعَ الرَّوْدِ ودَعْ حَرَّ السَّمومِ والْوَمَـــد
وَاعْدِدْ دَواءَ الدّاءِ لِل دَّهْرِ وَأَكْحالَ الرَّمَد
واســلُ وُراءَ ماطِرٍ لِماطِلٍ وَلَوْ رَعَـــد
لِلْمَرْءِ سَهْمٌ مُرْسَلٌ وَهْماً وكَمْ سَهْمٍ صَرَد
وَكَمْ وَكَمْ حُلْوٍ لَهُ مرَّ وَكَمْ وارٍ صَلَد
هَوْلُ الحِمامِ طالِعٌ مَطْلَعَ رَوْعٍ كَالْأَسَد
كَأْسٌ لِكُلٍّ دَوْرُها وَالْكُلُّ لِلْكَأْسِ وَرَد
وَكُلُّ عُمْرٍ كالكَلا وَالدَّهْرُ لِلْكُلِّ حَصَد
وَكلُّ رَسْمٍ دارِسٌ وَماهِدٍ وَما مَهَد
اللهُ أَهْلَ اللهِ، را عٍ كلَّ عَدْلٍ وأَوَد
كُلٌّ هَواهُ عامِلٌ واللهُ لِلْكُلِّ رَصَد13

إن الغاية من إيراد هذه القصيدة تكمن في الاعتراف بعظمة الله تعالى، وذكر صفاته الكثيرة. والكاتب بذلك يعطي لهذه الأشعار وظيفة وعظية، سعى من خلالها إلى أن يوصي الناس بمجموعة من الوصايا، ومحاولة نصحهم بأمور كثيرة تخص أفعالهم وأقوالهم، وحثهم على التزام القيم النبيلة؛ من قبيل التسامح والمحبة والعلم والمودة، والنفور من القيم الدنيئة؛ مثل اللهو والمكر والحسد...

يقول:

قَدْ غَفَلَ النّاسُ عَنِ الْيَقينِ، وَأَخَذوا بِالْوَهْمِ وَالـــــظُّنُونِ!
لا يَذْكُرونَ غَمْرَةَ الْمَنونِ، ومَوْقِفَ الْحِسابِ يَوْمَ الدّينِ
وَهَوْلَ ذَلكَ الْعَذابُ الْهُونِ يَلْهونَ بِالغادَةِ وَالْمَيْســـونِ
وَبِالْجَزَورِ الْوَدِكِ السَّمينِ، وَالرّاحِ والْقَيْنَة وَالقانـــــونِ
يا أَيُّها النّاسُ انْهَضوا في وَاصْغوا لِنُصْحِ الْمُنْذِرِ الْمُبينِ
لا تَشْتَروا دُنْياكُمُ بِالدّينِ، وَلا تُباهوا بِالحَما الْمَسْـنونِ!
وَلْيَدْعُ كُلُّ خاشِعٍ رَزينٍ بِقَلْبِ عَبْدٍ خاضِعٍ حَـــزينِ
يا رَبِّ خُذْ مِنّي بِالْيَمينِ، وَامْنُنْ بِروحِ الْقُدُسِ الْأَميـــنِ
عَلَيَّ، وَاقْبَلْ تَوْبَةَ الْمِسْكينِ14

أورد اليازجي هذه الأبيات الشعرية على لسان بطله ميمون ان خزام أثناء وقوفه على ضريح أبي العلاء المعري، وإلقاء خطبة على مسامع جموع من الناس، وهي تتضمن موعظة وإرشادا لهم بغية الفوز بالدار الآخرة، وهي دار البقاء والخلود، بدل الدنيا التي مآلها الفناء والزوال.

خاتمة:

هكذا نخلص، إلى أن مقامات اليازجي كانت غنية بالشعر؛ حيث لم تكاد تخلو مقامة واحدة من مقاماته من توظيف النصوص الشعرية التي هيمنت عليها وظيفتي التعليم والوعظ، وشكلتا حيزا كبيرا في مقابل الوظائف الأخرى، وهذا يدل على أن تلك التنقلات بين الأماكن العربية العديدة، كانت الغاية منها تعليمية نفعية؛ فمن خلال التوظيفات الشعرية، استطاع الأديب ناصيف اليازجي أن يقدم صورة للإنسان العربي ذي المعارف الواسعة، المحب للعلم والتعلم، والمقبل على فعل الخير والصلاح.

المصادر والمراجع :

. أدباء العرب في الأندلس والانبعاث، بطرس البستاني، دار الجيل، لبنان، بيروت، 1997م.

. أربع مقامات في الشعر والشعراء، دراسة، دراسة تحليلية نقدية، عمر فارس الكفاوين، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، المجلد 12، العدد 01، أبريل 2021.

. تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، بيروت، لبنان.

. شرح ألفية ابن مالك لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1434 هـ

.كتاب " الشيخ ناصيف اليازجي" لعيسى ميخائيل سابا، دار المعارف، بيروت، 1954، ط3.

. مجمع البحرين، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، لبنان بيروت، 1973م.

الهوامش

[1]- جاء في كتاب " تاريخ الأدب العربي" لحنا الفاخوري، أنه: "نشأ ناصيف اليازجي محبا للأدب واللغة ونظم الشعر، يدرس اللغة ويتصفح كتب النحو والصرف بنفسه، ويتنقل بين دواوين الأشعار، حتى أنه نظم الشعر وهو صغير".

2. أُنظر كتاب " الشيخ ناصيف اليازجي" لعيسى ميخائيل سابا، دار المعارف، بيروت، 1954، ط3، ص 22.

3. أدباء العرب في الأندلس والانبعاث، بطرس البستاني، دار الجيل، لبنان، بيروت، 1997م، ص233.

4. مجمع البحرين، الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر بيروت، لبنان بيروت، 1973م، ص ص 54. 55.

5- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص 11.

6- نفسه، ص ص 13- 14.

7. مجمع البحرين، مرجع سابق، ص 59.

8- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 176. 177.

9- نفسه، ص 21.

10- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص 59.

11- نفسه، ص ص 77-78.

12- مجمع البحرين، مرج سابق، ص ص 107- 109.

13- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 89- 90.

14- مجمع البحرين، مرجع سابق، ص ص 149- 150.

Références :
-Saba p. M. . (1954). Sheikh Nassif Yazigi. Beirut: Dar Al Maarif.
-Al-Othaimeen m. B. s. . (1434). explain Alfi of Malik son. Riyadh: Sheikh Mohammed bin Saleh Al-Othaimeen Charitable Foundation.
-Al Kafaween A. F. . (2021). Four stations in poetry and poets, a critical analytical study. Journal of Arts and Social Sciences, 12(1).
-Yazigi N. (1973). Bahrain Complex. Lebanon: Dar Sader Beirut.
-Al-Fakhoury H. (1953). History of Arabic literature. Beirut: Police Press.
-gardener b. (1997). Arab writers in Andalusia and rebirth. Beirut: Dar Al-Jeel.